الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد -احمد دراية- ادرار

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ

الملتقى الوطني حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات والمغرب الإسلامي
جامعة إدرار.
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

عنوان المداخلة: **أعداد الأستاذ**

البعد العلمي وأثره على المؤسسات الثقافية في جنوب الصحراء
(قورارة-نوات-تيديكلت)
(القرن 16-19م)
السنة الجامعية 2009/2008

البعد العلمي وأثره على المؤسسات الثقافية في جنوب الصحراء
(قورارة-نوات-تيديكلت) (القرن 16-19م)

التعريف بمجال البحث

لاشك أن المؤسسات الروحية في الجزائرية ,لعبت ولازالت تقوم بدور بدور الإشعاع العلمي والديني والروحي التهذيبي في كامل ربوع الوطن , وعن طريقها انتشرت الثقافة العربية الإسلامية وفي روعها ترعرعت اللغة العربية, وأينعت على أيدي رجلها حافظت الجزائر على انتمائها وشخصياتها من الذوبان في كيان المستعمر.

وتعتبر منطقة جنوب الصحراء ,وبالتحديد إقليم توات , جزء لا يتجزأ من هذه المؤسسات الروحية عبر الوطن ,إذا كان لها الدور البارز في منطقة الجنوب الغربي والساحل الإفريقي.

والجدير بالجامعيين أن يهتموا بإبراز هذا الدور الرائد وإخراجه للطلبة والباحثين إخراجا لائقا, يليق بعظمة رجال هذا المنطقة الاكارم.

خطة المداخلة:

مقدمة:

دور الحركة العلمية ضمن المخطوطات في ظل المكتبات الشعبية بتوات

-العلوم الدينية:

(فقه –أصول-تفسير –ميراث-اجتهاد.....)

-علوم اللغة والأدب:

(شعر-نثر-بيان-.....)

-العلوم الاجتماعية:

(التاريخ-الجغرافيا-المنطق وعلم الأنساب)

-العلوم العلمية:(الطب-الرياضيات-علم الفلك....)

-العلوم الفلاحية:

-(الري-الفقاقير-علوم التربة...)

الخاتمة

مقدمة:

إن المتتبع للبعد العلمي بشأن موضوع المؤسسات الثقافية فيما وراء الصحراء تبين لنا جليا إن منطقة توات منطقة غنية ,وارض طيبة ومباركة ,فهي بلد العلم والاستقرار ,وبلد اجتمعت فيها ثقافات متعددة ,وتحصلت فيها آراء وأفكار العديد من العلماء من خلال هذه الحواضر ما جعلها منارة للعلم وقبلة لكل ذي حاجة, وهذا الأمر حاولت أن أبينه فقد تحدثت فيه عن تأثر المنطقة بغيرها,من المناطق المجاورة وأنها كانت ولا تزال محط العلماء والصالحين ومكان العبدين والزهاد الذين وجدوا فيها راحتهم ولمسوا فيها ثقافتهم فكانت بذلك لهم مقرا عبر السنين.

فظهرت فيها الزوايا الكثيرة التي أضاءت عقول أبناء المنطقة وأفادت طلبة العلوم والدين.

وكانت مرتبة العلماء التي عرفتها المنطقة من خلال التحصيل لعلمي والفقهي والاجتهاد في المذهب ,حيث كان يرجح رأيا على رأي إسنادا إلى ماصح عنده من أدلة ونصوص وهذا في تقديرنا اختلاق متنوع يكسب ميدان المعرفة العلمية.

إضافة إلى الفتوى في النوازل هي القلب النابض الاجتهادي المسطور في بطون أمهات الكتب ,فبالفتوى في الطوارئ والمستجدات تبعث الحياة من جديد في تلك الأقوال القديمة التي صدرت ,وهي ليست جامدة وإنما متأثرة بمحيطها وبزمانها وبمكانها وظروفها ,وكل ذلك هو من مبررات وجودها.

عرفت المنطقة الزوايا,التي تمثل أماكن يلجا إليها الناس للدارسة والعبادة وإطعام الفقراء والمساكين , لذلك تعتبر منطقة توات المكان المفضل للعديد من الزوايا ولأسباب أمنية واقتصادية وعلمية ,جعل أصحابها حبس أموالهم عليها ,وتم تسييرها والمحافظة عليها من طرف أبنائهم,حيث تضاعف عددها مع مر السنين , كما هو حاصل في الزوايا الكنتية,وزوايا اقبلي في تيديكلت وكذا قورارة,وتمنطيط,التي نجد بها معظم هذه الكتاتيب والربط عبر العصور من خلال انعكاس النشاط العلمي بالمنطقة عن طريق المؤسسات الروحية ,كان أثرها المباشر على الإرث المكتوب,المتمثل في خزائن المخطوطات التي تركها العلماء.

فهناك خزائن نفيسة تمتلكها عائلات تحتوي على عناوين المخطوطات في مختلف العلوم ,كما هو الشأن بمنطقة اقبلي التي نجد بها مخطوطات لعلماء المنطقة وما جاورها وكذلك مخطوطات الشيخ المختار الكبير

الكنتي,والشيخ احمد البكاي,إضافة المخطوطات ترجع ملكيتها إلى أشخاص نجدها منتشرة في الصحراء.
لقد برز العديد من العلماء قاموا بتدوين المخطوطات,والكتب ,والنوازل,كانت مرآة عاكسة لكل ماكان يعج به المجتمع من عادات وإحداث,وأنماط معيشية وعلاقات اجتماعية وغيرها,كما كانت هذه الكتب والفتاوى أداة فعالة يستعملها الفقيه أو العالم محل مشكلات عصره,والتخفيف من آلامه وتحقيق آماله.
في تقديرنا إن هذه الحواضر الإسلامية فيما وراء الصحراء, زادت للفقيه نبراسا يهتدي سواء من حيث المنهج الذي انتهجه العلماء, أو من حيث الفتوى نفسها.
إن من أعظم المخطوطات التي تناولت موضوعات التصوف وطرقها ,ومناهجها نجد " فتح البدايات وتوصيف النهايات" للعالم ماء العينين ورسالة في التصوف لعبد القادر بن محمد بن سليمان,ومخطوط الرموز للسيد احمد بن موسى,وكذلك الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد للعلامة سيدي المختار الكبير.
هذه الحقائق التاريخية لتراث المنطقة الصحراوية عكست التوجهات الصوفية التي انتشرت في الداخل والخارج.

ذكرت البحوث المختلفة أن علماء المنطقة كانوا يتميزون بخفة الحركة,وبعدم الاستقرار في مكان واحد وان جهادهم السلمي في الدعوة إلى الإسلام ونشر تعليمه كان العامل الرئيسي في فتح قلوب الأفارقة الوثنيين على الإسلام,ودخولهم فيه وقد ذكر صاحب كتاب "تعريف الخلف"[1]أسماء أكثر من عشرين شخصية تواتية من أهل الصلاح والولاية والفقه ,كان منهم أساتذة بجامع القرويين و بتونس وبغرب إفريقيا.

[1] الحفاوي ابوالقاسم محمد ,تعريف الخلف برجال اسلف,الجزائر 1906,ج1,ص22,ص108-109-216-111

وكـان دور الفقهـاء كبيـرا منـذ تأسـيس مدينـة تمبكتـو (القـرن الخـامس-الحادي عشر الميلادي) التـي أصبحت فيمـا بعد مقصدا للتـواتيين الـداعين للإسـلام ,والعلمـاء مـنهم علـى وجـه الخصـوص وكـان بعضـهم أئمـة بمساجدها,ورجال الفتوى يتقرب إليهم السلاطين الذين كانوا يدفعون لهم رواتب,ويباع فيها كتب مخطوطة كثيرة وافدة من المناطق البربرية[1].

أولا تأثير العلماء والفقهاء

كان لعلماء توات ومشايخها في كل العصور القديمة والحديثة دور متميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب السمراء ,إذ يؤكد اغلب المؤرخون انه بجهود العلماء تغلغلت الثقافة العربية في إفريقيا الغربية (وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للدول الإفريقية الإسلامية بالإضافة إلى أنها كانت اللغة المستعملة في التجارة التي كانت بأيدي العرب,وكان للعرب في عاصمة غانا القديمة (كمبي صالح) اثنا عشر مسجدا الحق لكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة والفقه الإسلامي ثم أصبحت اللغة العربية لغة التدوين في شتى إنحاء القارة,لقد توسعت اللغة العربية فامتزجت بلغة الفلان(ينتشرون في أنحاء غر افريقيا,والبمبارا في مالي والولوف في السينغال)والصوننكية في ولغات النيجر والهوسا,فقد اتجه حملة العلم من الافارقة نحو الكتابة لتبليغ أحكام الإسلام وعلومه فكتبوا باللغة العربية,واستخدموا الحرف العربي للكتابة

[1] Echalllier.op.cit.p.7.

للغتهم,وساعدت اللغة العربية والإسلام في انتشار الشعر في اللغات الإفريقية المكتوبة بالعربية أو لغات السونغاي والناندينغ والجرمة والفلان[1],كما كان لتجارة الكتب[2] دور في ذلك حيث كان بيع الكتب يعود عليهم بالفائدة أكثر من باقي البضائع[3] التي كانت توفد إليهم من اقليم التوات.

لقد انتشرت الخلاوي القرآنية ومعاهد العلم انتشارا كبيرا في كانم وبورنوا بفضل مجهودات العلماء المهاجرين من المغرب خاصة من توات ,لقد شهد القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) حركة بعث الثقافة العربية والاسلامية شملي جميع ارجاء امبراطورية البرنو فقد ظل العلماء المتجولون يقومون (بمهمة كبيرة) بنشر العلم كما ان تدفق الكتاب والمؤلفات الأدبية من المشرق والمغرب العربي أدى إلى انتشار الدراسات وتعميقها.

إن التعليم في بلاد كانم وبرنو[4] قد بلغ مستوى رفيعا من التقدم ابان القرنين (الثالث عشروالرابع عشر الميلادي), ويعزى ذلك في معظمه إلى الزيارات المتكررة التي قام بها للمنطقة من العلماء من توات وطرابلس ومصر ,ويتحدث مخطوط كمطول منسوب الى القرن الخامس عشر الميلادي عن رسالة بعث بها ملك برنو ((كداي-KADAI)) سنة ((1440م-1447 م)) إلى بعض العلماء البارزين من توات يطلب منهم إرسال بعثات علمية إلى برنو ومن العلماء الذين نبغو في بلاد برنو[5] واثروا في الحياة الاجتماعية والسياسية الشيخ محمد الطاهر الفلاني التواتي,فقد ألف هذا الشيخ كتابات عديدة في ميادين الفقه وعلم الكلام والسياسة وترجم له صاحب " إنفاق الميسور" [6]على انه (كان نسيجا حده عالما بالمنقول والمعقول) صالحا,تقيا,بارعا,والحاصل انه بلغ مبلغ الرجال ,اخذ العلم عن الشيخ البكري[7] ثم رجع لموضوعه ,وتصدر للتدريس ثم حمله السلطان إلى حصن برنو واسكنه فيها ,وبنى له دارا

---

[1] خليل النحوي ,بلاد الشنقيط, المنظمة العربية للتربية والثقافة,تونس,1987م,ص262

[2] كانت قورارة وهي احدى مدناقليم توات تملك مكاتب تضم 1500 مجلد انظر:
ECHALLIER.OP.CIT.P.7

[3] ECHALLIER.IBID.P.7

[4] عن مملكة كانو و يرنو ,انظر:
عبد القادر زبادية, الحضارة العربية والتاثير الاوروبي في افريقيا الغربية وجنوب الصحراء ,ص29

[5] احمد محمد كاني,الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا ,طبعة الزهراء للاعلام تاعربي,القاهرة 1987,ص21

[6] محمد بيلو بن عثمان بم فودي,انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور,دار مطابع الشعب,القاهرة ,1964,ص87

[7] الشيخ البكري بن عبد الكريم ,المتوفي سنة 1133ه/1720م,مؤسس الطريقة البكرية ,وهي فرع من الاقدرية,غرب مدينة تمنطيط

ووﻻه خطه, وله تواليف وأشعار منها نظمه على البكري,وشرحه ونظمه على حكم ونظمه الدر اللوامع ومنار الجامع في التصريف[1] .
ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا البلد الشيخ العاقبة بن عبد الله الانصمني المسوفي وكان من علماء تكدة النابغين الذين اشتغلوا بالعلم والتأليف وقد تتلمذ على يد الشيخ المغلي, فقد أسهم العلماء التوراتيون في مد مناطق السودان الغربي بالأفكار والتعاليم الإسلامية كل حسب طريقته الخاصة ,فمنذ تأسيس مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري وهي مقصد لكثير من العلماء وفقهاء توات الذين استقروا بها[2], ويذكر السعدي صاحب كتاب "تاريخ السودان" أن الشيخ أبا القاسم التواتي كان من أشهر أئمة جامع السمكري,انه كان محل احترام وتقدير الجميع حتى إن السلطان (اسبكا الحاج موسى) كان يحرص بعد كل صلاة على الملاقاة به للتسليم عليه والتبرك به[3].
وكان أول من صلى بالناس في الجامع الكبير من البيض هو جد جدة السعدي عبد الله البلبالي الذي يقول فيه صاحب كتاب الفتح الشكور " كان رحمه الله من عباد الله الصالحين زاهدا ورعا لاياكل الا من عمل يديه وظهرت له كرامات وبركات وهو من أهل القرن التاسع عشر ومن علماء توات وأوليائها"[4] فقد ذكر صاحب كتاب الشكور أسماء اكثرمن أربعين شخصية تواتية من أهل الصلاح والولاية والفقه كان لهم تأثير كبير في بلاد التكرور نذكر منهم على سبيل المثال مولاي زيدان احد أحفاد مولاي عبد الله الرقاني الذي أوصل إلى بلاد التكرور أوراد الطريقة القادرية ويذكر الشيخ الحاج احمد بن حاج الأمين الملقب التواتي الغلاوي[5] انه ((كان قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتفع على يديه كثير من المهاجرين ناصر السنة حتى كاد أن يقيم الحدود في بلاد التكرور حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعامة له شرح عجيب مفيد على نظم ابن سعيد السوسي (إشراق البدر على عددا هل البدر) سماه بكشف الغمة في نفع الأمة (ت 1157م) بفزان[6])) ويذكر كذالك شخصية تواتية كان لها تاثير كبير في المنطقة وهو سيدي ابو القاسم التواتي,كان صالحا خبيرا ,وكان إمام المسجد الجامع في تنبكت ذا

---

[1] احمد محمد كاني,المرجع السابق,ص22
[2] احمد محمد حسن محمود,الاسلام والقافة العربية في افريقيا ,القاهرة 1963,ص236
[3] السعدي ,عبد ارحمان بن عبد الله ,تاريخ السودان, طبعة هوداس, 1964,ص 222
[4] ابن عبد الله الطالب محمد ابي الصديق البرتلي, الفتح الشكور في معرفة اعيان علماء تكرور, تحقيق ,الكتاني ومحمد حجي,دار الغرب الاسلامي ,بيروت, 1981م,ص 97 فما بعدها
[5] ابن ابي الصديق البرتلي ,نفس المصدر ,ص 97
[6] ابن ابي الصديق البرتلي ,نفس المصدر ,ص 97

كرامات وبركات وهو الذي ابتدأ قراءة الختم في المصحف بعد صلاة الجمعة فحبس أمير المؤمنين اسبكا الحاج تابوتا فيه ستون جزء من المصحف على ذلك الجامع لأجل تلك الختم (ت922)[1].

إن قدوم عدد كبير من التجار والفقهاء والدعاة العرب المسلمين منم الشمال بعث نشاطا ملحوظا في إفريقيا االدين الجديدلعصور الوسطى وقد أدى هؤلاء واجبهم في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية في ربوع تلك المنطقة .ولقد التحق كثير منهم بالملوك والأمراء وعملوا في خدمتهم أو قدموا إليهم الخبرة والثقافة وحببوا إليهم الدين الجديد.ويقص علينا التاريخ نتفا من إخبار عبد الكريم المغيلي وبهذا نستطيع أن نفسر إيمان بعض الملوك والأمراء بالدين الحنيف قبل إن يعتنقه سواد الشعب الذي عمل فيما بعد على تقليد الملك ,ولما قلد الشعب حكامه ف باعتناق الدين الجديد شهدت إفريقيا الغربية نشاطا عظيما وحماسا عجيبا من اجل الجهاد وأقام بذلك السلطان كوسى صاحب مالي في القرن الرابع عشر الميلادي والسلطان محمد الحاج صاحب غاو في أخر القرن الخامس عشر الميلادي ثم من بعده أمراء السينغال[2].

كما احتاج دعاة الإسلام إلى الملوك ليكونوا سندا لهم والذين كانوا بدورهم بحاجة إلى هؤلاء الدعاة والفقهاء لإعطاء سلطتهم صفة شرعية, ويستفيدون من خبراتهم وثقافتهم الواسعتين.

فقد كان العلماء والدعاة التواتريين يجوبون البلاد الإفريقية المجاورة فيستقطبون من يلقون بالقيم والأخلاق الفاضلة والشعائر التي يؤدونها وباحاديثهم إلى الناس وتعليمهم ووعظهم إياهم وكان الأمراء الأفارقة الذين يعتنقون الإسلام يتخذون شيوخا من أهل توات يعلمونهم أحكام الدين ويقرؤونهم القران ويؤمون بهم الصلاة ويبذلون النصح للمسلمين.

---

[1] ابن ابي الصديق البرتلي ,نفس المصدر ,ص 97

[2] قدح نعيم, حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية, طبعة الجزائر,بدون تاريخ,ص 94-95

الخاتمة:

وخلاصة القول ان علمائنا تركوا الكثير والكثير وفي اعتقداي ان الذي يمكن ان يعطي نتيجة اكثر هو تفتح الجامعة لهذه المخطوطات من قبل طلابها فهي كما راينا وسمعنا تحتوي كل الفنون كما ان العلماء وخاصة منهم محمد بن اباالزموري والذي لايزال يكتنف انتاجه الغموض في جامعتنا وطلاينا اليقين في زيادة البحث والدراسة لهؤلاء العلماء عن طريق:

-تكثيف الندوات والملتقيات والايام الدراسية داخل الولايات التي بها مخطوطات خاصة.

مواصلة تفتح وسائل الاعلام واظهار هذه الكتب وذلك عن طريق التحقيقات حول العلماء وانتاجهم.

الاستفادة من هذه المخطوطات تستدعي اكتساب تجربة البلدان المتقدمة في هذا الميدان وبالتالي وضع ملتقى دولي يهتم بدارسة وكيفية الاستفادة من الوثائق والمصادر اعلميةالمتاجدة يكون كفيل بالقاء الاضواء على المخطوطات.

ضرورة ايجاد صيغة عملية يمكن ضوئها ارجاع بعض المخطوطات التي سرقت والوجودة حاليا في فرنسا.

مواصلة البحث وتكثيف العلاقة بيد الجامعة والولايات التي بها مخطوطات وهذا لابد من توجيه الطلبة لوضع اطروحاتهم حول هذا التراث الثقافي المحلي باعتبار انه لازال مادة خام لم يدرس.

قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالمقال

1- **اقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر فرج محمود فرج .ط.ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر**
2- **نيل الابنهاج بتطريز الديباج ,احمد بابا التمبكتي ,ط. منشورات كليةالدعوة ,طرابلس,ليبيا,ط1986م.**
3- **محمد بن عبد الكريم المغيلي,رسالة ماجستير للطالب احمد الحميدي.**
4- **اعمال المهرجان الثقافي الاول للتعريف بتاريخ ادرار ,ولايةادرار ,1983م.**
5- **مجلة مركز الابحاث والدراسات التاريخية لولاية ادرار ,جانفي 1988م.**
6- **لمحة عن النشاط العلمي بتوات ,الشيخ محمد باي.**

7- تعريف الخلف برجال لسلف ,الحفناوي,ط. ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر
8- تاريخ الجزائر العام ,عبد الرحمان الجيلالي ,ط دار الثقافة لبنان.
9- وصف افريقيا ,الحسن بن الوزان ,ط دار المعرفة ,لبنان
10- الموسوعة المغربية,عبد العزيز بن عبد الله, ط. مكتبة فاس ,المغرب.
11- المغرب الكبير ,العصر الاسلامي دراسة تاريخية ,عبد العزيز سالم,ط دار النهضة العربية ,بيروت ط 1981
12- القول البسيط في اخبار تمنطيط ,محمد الطيب بن عبد الرحيم تحقيق فرج محمود فرج,ديوان المطبوعات الجامعية .
13- اصول الروابط التاريخية بين بلاد المغرب وغرب افريقيا ,هاشم العلوي,مجلة كلية الادب والعلوم الانسانية.فاس المغرب, 1989 العدد الخامس
14- تحفة الانظار في غرائب الانظار وعجائب الاسفار,ابن بطوطة ,ط دار الجيل لبنان.